الاستاذ

الجزء الثامن والثلاثون من السنه الاولى

يوم الثلاثاء ٢٩ شوال سنة ١٣١٠ و٩ بشنس سنة ١٦٠٩

الموافق ١٦ مايو سنة ١٨٩٣

دفع اعتراض البشر عن اعتقاد القضاء والقدر

لاحد افاضل مصر

مضت سنة الله في خلقه بان يكون للعقائد القلبية سلطان على الاعمال البدنية فما يكون فيها من صلاح او فساد فانما مرجعه فساد العقيدة وصلاحها على ما بينه الشارع ورب عقيدة واحدة تأخذ باطراف الافكار فيتبعها عقائد ومدركات اخرى ثم تظهر على البدن باعمال تلائم اثرها في النفس . ورب اصل من اصول الخير والكمال اذا عرض على الانفس في تعليم او تبليغ شرع وقع فيه الاشتباه عند السامع فيلتبس عليه بما ليس من قبيله او يصادف بعض الصفات الرديئة والعقائد الباطلة فيعلق به عند الاعتقاد شيء مما يصادفه وفي الحالين يتغير وجهه ويختلف اثره وربما يتبعه عقائد فاسدة مبنية على الخطأ في الفهم او على خبث الاعتقاد فتنشأ عنها اعمال غير صالحة على غير علم من المعتقد كيف اعتقد هذا ولا كيف يصرفه اعتقاده والمغرور

بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن اعتقاد ذلك الاصل ومن مثل هذا الانحراف وقع التحريف والتبديل في بعض اصول الاديان غالباً وهو علة البدع والنحل في كل دين وكثيراً ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال حتى افضى بمن ابتلاهم الله تعالى به الى الهلاك وهذا يحمل بعض من لا خبرة لهم على الطعن في دين من الاديان او عقيدة من العقائد الحقة استناداً على اعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين او العقيدة · ومن ذلك عقيدة القضاء والقدر التي تعد من اصول العقائد في الديانة الاسلامية فقد كثر فيها لغط بعض الافرنج وزعموا انها ما تمكنت من نفوس قوم الا وسلبتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضعة ورموا المسلمين بصفات ونسبوا اليهم اطوارا حصروا علتها في اعتقاد القضاء والقدر وقالوا ان المسلمين في فقر وتأخر في القوى الحربية والسياسية عن سائر الامم وقد نشأ فيهم الكذب والنفاق والخيانة والتحاقد والتباغض وتفرقت كلمتهم وجهلوا احوالهم الحاضرة والمستقبلة وغفلوا عما ينفعهم ومــا يضرهم وقنعوا بحياة يأكلون ويشربون فيها وينامون ثم لا ينافسون غيرهم في فضيلة ومتى امكن احدهم ان يضر اخاه لا يقصر في ذلك فجعلوا بأسهم بينهم والامم من ورائهم تبتلعهم لقمة لقمة وقد رضوا بكل عارض واستعدوا لقبول كل حادث وركنوا الى السكون في زوايا بيوتهم · والامراء منهم يقطعون ازمنتهم في اللهو واللعب ومعاطاة الشهوات وعليهم فروض وواجبات تستغرق اعمارهم في ادائها ولا يؤدون شيئاً منها يصرفون اموالهم فيما يقطعون به زمانهم اسرافاً وتبذيراً ولا ينال ملتهم واوطانهم منها شيء · وقد خلطوا المصالح العامة بالمصالح

الذاتية فكم من تنافر بين اميرين اضاع امة · وكل منهم يخذل صاحبه و يستعدي عليه جاره فيدخل بينهم الاجنبي وقد وجد قوة ضعيفة ونفوساً متخاذلة فيتمكن من بلادهم بغير عدد ولا عدد شملهم الجبن وعمهم الخوف وقعدوا عن الحركة وخالفوا في ذلك كله اوامر دينهم مع رؤيتهم جيرانهم بل بعض من هم تحت سلطتهم يتقدمون عليهم و يباهونهم بما يكسبون · ولا توجد فيهم جمعيات ملية لا سرية ولا جهرية يكون من مقاصدها احياء الغيرة وتنبيه الحمية ومساعدة الضعفاء وحفظ الحقوق من تعدي الاقوياء وتسلط الغرباء · هكذا نسبوا هذه الصفات الى المسلمين وزعموا ان لا منشأ لها الا اعتقادهم القضاء والقدر واحالة جميع وقائعهم على قدرة الله وحكموا بان المسلمين اذا داموا على هذه العقيدة لا تقوم لهم قائمة ولا يعود لهم مجد ولا يرجع اليهم حق ولا يؤيدون سلطاناً ولا يحفظون ملكاً ولا يزال الضعف يعمل بهم حتى يفنيهم بالمنازعات وما يسلم من ايدي بعضهم تحصده الاجانب · واعتقد اولئك الناس انه لا فرق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر و بين الاعتقاد بمذهب الجبرية القائلين بان الانسان مجبور في جميع افعاله وتوهموا ان المسلمين باعتقادهم هذا يرون انفسهم كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيفما تميل ومتى رسخ في نفوس قوم انهم لا اختيار لهم في قول ولا عمل ولا حركة ولا سكون وانما ذلك بقوة قاهرة تتعطل قواهم و يفقدون ثمرة ما وهبهم الله تعالى من المدارك والقوى وتمحي من خواطرهم داعية السعي والكسب هكذا ظنت طائفة من الافرنج ايضا وذهب مذهبها كثير من ضعفاء العقول في المشرق · وقد اخطاء اصحاب هذا الزعم فانه لا

يوجد مسلم في هذا الوقت سنياً كان اوشيعياً او زيديا او اسماعيلياً او وهابياً او خارجياً يرى مذهب الجبر المحض ويعتقد سلب الاختيار من نفسه بالمرة بل كل هذه الطوائف المسلمة يعتقدون بان لهم جزءا اختيارياً في اعمالهم ويسمى بالكسب وهو مناط الثواب والعقاب عند جميعهم وانهم محاسبون بما وهبهم الله تعالى من هذا الجزء الاختياري ومطالبون بامتثال جميع الاوامر الالهية والنواهي الربانية وان هذا النوع من الاختيار هو مدار التكليف الشرعي وبه تتم الحكمة والعدل . نعم كان بين المسلمين طائفة تسمى بالجبرية ذهبت الى ان الانسان مضطر في جميع افعاله اضطراراً لا يشوبه اختيار وزعمت انه لا فرق بين ان يحرك الشخص فكه للاكل وبين ان يرتعد بشدة البرد . ومذهبها يعده المسلمون من منازع السفسطة الفاسدة وقد انقرض ارباب هذا المذهب في اواخر القرن الرابع من الهجرة ولم يبق لهم اثر وليس الاعتقاد بالقضاء والقدر هو عين الاعتقاد بالجبر ولا من مقتضياته ما ظنه اولئك الواهمون فان الاعتقاد بالقضاء يؤيده الدليل القاطع بل ترشد اليه الفطرة ويسهل على من له فكر ان يلتفت الى ان كل حادث له سبب يقارنه في الزمان وانه لا يرى من سلسلة الاسباب الا ما هو حاضر لديه ولا يعلم ماضيها الا الله مبدع نظامها وان لكل منها مدخلاً ظاهراً فيما بعده بتقدير العزيز العليم . وارادة الانسان انما هي حلقة من حلقات تلك السلسلة وليست الارادة الا اثراً من آثار الادراك والادراك انفعال النفس بما يعرض على الحواس وشعورها بما اودع في الفطرة من الحاجات فلظواهر الكون من السلطة على الفكر والارادة ما لا ينكره عاقل وان مبدأ هذه

الاسباب التي ترى مؤثرة في الظاهر انما هو بيد الله مبدع الكون الذي خلق الاشياء على وفق حكمته وجعل كل حادث تابعاً اشبهه كانه جزء له خصوصاً في العالم الانساني · ولو فرضنا ان جاهلاً ضل عن الاعتراف بوجود آله صانع للعالم وليس في امكانه ان يتخلص من الاعتراف بتأثير الفواعل الطبيعية والحوادث الدهرية في الارادات البشرية فهل يستطيع ان يخرج بنفسه عن السنة التي سنها الله تعالى في خلقه · هذا امر يعترف به طلاب الحقائق وان بعضاً من حكماء الافرنج وعلماء سياستهم التجأوا الى الخضوع لسلطة القضاء والقدر واطالوا البيان في اثباتها ولا حاجة لاثبات آرائهم هنا ثم اننا نعلم ان التاريخ هو العلم الباحث عن سير الامم في صعودها وهبوطها وما ينشأ عن الحوادث من التغيير والتبديل في العادات والاخلاق والافكار بل في خصائص الاحساس الباطن والوجدان وما يلحق ذلك من نشأة الامم وتكون الدول واندراس بعض الممالك · وهذا الفن عد من اجل الفنون الادبية واعظم فوائده بناء البحث فيه على القضاء والقدر واعتقاد ان قوى البشر في قبضة مدبر الكائنات ومصرف الحادثات وهو الله الفاعل المختار ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير ما انحط رفيع ولا ضعف قوي ولا ذهب سلطان والاعتقاد بالقضاء والقدر اذا تجرد عن شناعة الجبر تتبعه صفة الجراءة والاقدام والشجاعة والبسالة ويبعث على اقتحام المهالك التي ترجف لها قلوب الاسود ويطبع الانفس على الثبات واحتمال المكاره ومقارعة الاهوال ويحليها بحلية الجود والسخاء بل يحملها على بذل الارواح والتخلي عن نضرة الحياة في سبيل الحق الذي دعاها لاعتقاد هذه العقيدة التي منها اعتقاد

تحديد الاجل والرزق وان الاشياء بيد الله تعالى يصرفها كيف يشاء . فكيف يرهب الموت في الدفاع عن حقه واعلاء كلمة ملته والقيام بما فرض الله عليه من ذلك من هذا اعتقاده وكيف يخشى الفقر مما ينفق في سبيل تعزيز الحق وتشييد المجد وتنفيذ الاوامر الالهية . وقد امتدح الله المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته بقوله . الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . وقد اندفع المسلمون في اول نشأتهم الى الممالك والاقطار يفتحونها فادهشوا العقول وحيروا الالباب عند ما دوّخوا الدول وقهروا الامم وامتدت سلطتهم من جبال بيريني الفاصلة بين اسبانيا وفرانسا الى جدار الصين مع قلة عددهم وعددهم وعدم تعودهم على الاهواء المختلفة وطبائع الاقطار المتباعدة وقد ارغموا الملوك والقياصرة والاكاسرة في مدة لا تتجاوز ثمانين سنة وهذا يعد من خوارق العادات وعظائم المعجزات . وما ارجفوا قلباً ولا اذلوا ملكاً ولا فتحوا بلداً الا وقائدهم اعتقاد القضاء والقدر الذي ثبتت به اقدام هذه الجنود القليلة امام جيوش لا عداد لها فكشفوهم عن مواقعهم وردوهم على اعقابهم وهو الذي حملهم على بذل اموالهم وارواحهم في سبيل اعلاء كلمتهم وامتداد سلطتهم وسهل عليهم حمل اولادهم ونسائهم الى ساحات القتال في اقصى بلاد العالم كانهم سائرون الى الحدائق والرياض وكانهم اخذوا لانفسهم بالتوكل على الله امانا من كل غادرة واحاطوها بحصن الاعتماد عليه من كل طارقة . وكان اولادهم ونساؤهم يخدمون الجنود بلا رهبة

ولا خوف كانهم في قصور الامن والدعة وهو الذي رفع قدرهم واسكن هيبتهم القلوب فكانوا ينصرون بالرعب يقذف به في قلوب اعدائهم . والتاريخ يخبرنا انه من اول الاجتماع البشري الى اليوم ما وجد فاتح عظيم ولا محارب شهير نبت في اوسط الطبقات ثم ارتفع بهمة الى اعلى الدرجات وبلغ من بسطة الملك ما فيه العجب الا كان معتقداً بالقضاء والقدر . سبحان الله . الانسان حريص على حياته شحيح بوجوده على مقتضى الفطرة والجبلة فما الذي يهون عليه اقتحام المخاطر وخوض بحار المشاق والمهالك الا اعتقاده بالقضاء والقدر وركون قلبه الى ان المقدر كائن لا محالة وقد اثبت التاريخ ان كورش الفارس (كيخسرو) ما حمله على الاقدام واقتحام غمرات الحروب التي فاز فيها بالنصر الا اعتقاده بالقضاء والقدر وان اسكندر الاكبر كان ممن رسخ في نفوسهم اعتقاد القضاء والقدر بل عدوا نابليون الاول بونابرت من اشد الناس تمسكاً بعقيدة القضاء وهي التي كانت تدفعه بعسكره القليل على الجماهير الكثيرة . فنعم الاعتقاد الذي يطهر النفوس من الرذائل . ولا ننكر ان هذه العقيدة قد خالطها شوائب من عقيدة الجبر في بعض العامة وربما كان هذا سبباً في احاطتهم بالمصائب التي اخذتهم بها الحوادث في العصور الاخيرة فرجاؤنا من العلماء العصريين ان يسعوا جهدهم في تخليص هذه العقيدة الشريفة من بعض ما طرأ عليها من لواحق البدع خصوصاً هذا المذهب الفاسد الذي نبه عليه الاستاذ و بين بطلانه فقد انتشر في كثير من بلاد الوجهين القبلي والبحري وفسدت به الاخلاق وتهافت عليه الرعاع والاوباش الفارغون من المعارف اغتراراً بشقشقة لا طائل تحتها

الا غرس الجبن في الطباع وشق عصا المسلمين وايقاع العداوة بينهم بتفريق لكلمة وتوزيع الاهواء بكثرة البدع والنحل وعليهم ان يذكروا العامة بسنن السلف الصالح وما كانوا عليه من الاعتقاد والعمل وينشروا بينهم ما اثبته الائمة الاعلام ووقع عليه اجماع الامة · وان يرشدوا الامة الى ان التوكل والركون الى القضاء انما طلبه الشرع منا في العمل لا في البطالة والكسل وما امرنا الله ان نهمل فروضنا وننبذ ما اوجبه علينا بحجة التوكل عليه فانها حجة الحائدين عن الصراط المستقيم ولا يرتاب احد من اهل الملة الاسلامية في ان الدفاع عنها في هذه الاوقات من الفروض العينية في مقابلة دفاع الامم عن مللهم وليس في ذلك تعصب كما يقول المفسدون فان تدافع الامم في حفظ عقائدهم يقضي علينا بمجاراتهم فيما هم فيه · ومن هنا يعلم ان ما زعمه الافرنج ومن كان على شاكلتهم من ان تاخر المسلمين منشاؤه اعتقاد القضاء والقدر لم يصادف الحقيقة بل ان نسبته اليه كنسبة النقيض الى نقيضه وانما حدث للمسلمين بعد نشأتهم الاولى نشوة من الظفر وثمل من العز فركنوا الى الرفاهية واخلدوا الى الراحة ثم فجاءهم صدمتان صدمة التتار من الشرق وصدمة الحروب الصليبية وتدافع اوروبا بعدها من الغرب ثم تداولتهم حكومات متنوعة ووسد الامر فيها الى غير اهله وولى امورهم من لا يحسن سياستهم فتمكن الضعف من نفوسهم واخذ كل منهم بناصية الآخر يطلب له الضرر ويلتمس له السوء لفساد الاخلاق وعدم التربية واهمال الحاكم شان المعارف واقتصاره على اللذائذ البدنية فانتهى بهم الاهمال الى ما صاروا اليه · ومع ما آلت اليه الامة من الضعف فانها

لن تموت ما دامت هذه العقيدة فيها فان رسوخها في نفوسهم وثبوتها في قلوبهم يدفع عنهم الامراض النفسية والاعراض الخيالية ويبعثهم على النظر في العواقب ويحيي ما مات من العزم والثبات حتى يعود مجدهم القديم ويردحقهم المسلوب ولا يتوقف ذلك الا على عقد جمعيات علمية وسياسية هذه تعلم العقيدة وتنشرها بين الناس على نفقة المثرين كما تفعل جمعيات اوروبا وهذه تربي الافكار وتقرأ التاريخ وتعلم الفنون السياسية فتمشي الامة بقوتي العلم والعمل بباعث الاعتقاد الحق ومن قال نريد ان نقلد الامم المتمدنة في سيرهم وتقلباتهم لا ينسب الى خشونة ولا تعصب ديني فان عورض في سيره علم ان دعوى الحرية والمساواة دعوى احتيال على التغلب بغير حرب واذلال الامم بطريقة التمويه والتغرير والا فانهم لن انصفونا تركونا نصارعهم في اجتهادهم حتى اذا ظهر لهم صدق معاملتنا لمن غايرنا وطناً وجنساً وحبنا لانتظام احوالنا بائتلافنا مع جميع الامم تحققوا ان فساد الاخلاق انما نشأ عن ترك العقيدة واصبحوا ممن ينادون بدفع اعتراض البشر على اعتقاد القضاء والقدر

سؤال

بعض وكلاء الجرائد يوهمون الناس ان من لم يشترك في جريدة كذا او من اشترك فيها ورفضها ربما ناله ضرر في معاشه او ربما تعطلت عليه مصالحه في الحكومة او صودر بما لا تحمد عقباه وقد اثرت هذه الايهامات في بعض الضعفاء فاعتقدها واخذ يتكلم بها ولا بد ان يكون لكم علم بما للجرائد في دوائر الحكومة فهل هناك ارتباط بين بعض الجرائد وبين الحكومة او جماعة من رجالها

القائمين بامر الامة ام الجرائد مستوية في استقلالها و بعدها عن الالتصاق بدوائر الحكومة والناس احرار في ميالهم واموالهم يشتركون مع من يشاؤون و ينفصلون متى شاؤوا واية جريدة يلزم الامة الاخذ بناصرها ومساعدتها والانكباب على مطالعتها واية جريدة يلزم الامة البعد عنها والاعراض عن قراءتها واي دليل تقيمونه على ان الجرائد منفصلة عن الحكومة كل الانفصال افتونا فقد طال الجدال وكثر القيل والقال وعول الكل على طلب الجواب من الاستاذ ولكم من الامة الثناء ومن الله الثواب فوزي

الجواب

الحمد لله وحده

لا تعلق لجريدة من الجرائد المصرية بالحكومة الا الجريدة الرسمية وما عداها فانه خاص باصحابه ومحرريه وهذا الذي تذكرونه من توهيم بعض الوكلاء لا حقيقة له في دوائر الحكومة ولا ترضى به الحضرة الخديوية الفخيمة ولا النظار الفخام بل لو رفعت قضية على مدعي ذلك لكان على الحكومة الحكم عليه بمقتضى القانون حتى لو كان الوهم الملزم بالاشتراك من رجال الادارة او رجال الضبط ورفعت عليه الشكوى لانصفت الحكومة المشتكي وعاقبت المتصدي لذلك من رجال الحكومة فقد اصدرت قبل ذلك منشوراً بانه لا تعرض ولا تداخل لاحد من رجال الحكومة في شأن الجرائد افبعد هذا يفهم الضعفاء ان اقوال تجار الاباطيل صحيحة لها اثر يعول عليه نعم تقدم هذا الوقت زمن كان للحكام يد في توزيع بعض الجرائد وتحصيل قيم اشتراكها بمعرفتهم كمال الميري حتى انهم الزموا كثيراً من الاميين بدفع قيم

اشتراك جرائد رموها عليهم وعندما اعتذروا اليهم بعدم معرفتهم القرأة قيل لاحدهم سد بورقها شبابيك البيت او اعمل عليها القهوة في الصبح ولكن حالنا اليوم غير حالنا بالامس فقد جاء الحق وزهق الباطل ولكل فرد من الافراد الذين الزموا بأخذ بعض الجرائد ان يردها حتى على الرئيس الذي الزمه بها من غير ان يتحاشى شيئًا فان اعيدت اليه كان عليه ان يقدمها لدائرة من دوائر الحكومة ومعها ورقة الشكوى لترفع تلك الدائرة مظلمته التي ظلمها بالارهاب والالزام ولا يخشى مستخدم او شيخ بلد او عمدة على وظيفته ان رفض جريدة فرغت رغبته منها او رآها ضد حكومته او لا توافق مشربه فان الحكومة متنبهة لذلك مستعدة لدفع اي عدوان عن الامة · فكل ما تسمعونه من هذا القبيل انما هو سمسرة لانفاق ما كسد من بضاعة الذين ما ارتفعوا الا على سلم النفاق ولا ربحوا الا من الاضاليل والمفتريات وقلب الحقائق · اما طلبكم بيان الجريدة التي يلزم الأخذ بناصرها ومساعدتها والتي يلزم رفضها والاعراض عنها فانكم ادرى بمصالح بلادكم ومن كان عارفًا بمصالح بلاده امكنه ان يميز بين الضار والنافع فما وجده من الجرائد يخدم وطنه وسلطانه واميره وينتصر لرجال وطنه وذوات بلاده ويذكر مفاخر امرائه واعمال اهل بلاده ويرشد الى طرق الاصلاح ويبين الخلل الواقع في الادارات وما يجب اتخاذه لتلافيه وينبه على الحقوق الملية والروابط الاختلاطية وينهاه عن الهيجان والفتن كان له ان يشترك فيها ان اراد ليهتدي بها الى طرق الفلاح والنجاح وما رآه منها سالكًا طريق الغش والخيانة وقلب الحقائق وسب الامراء والحكام وتهجين اعمال الوطنيين والتمدح

بالاجنبي وان لم يكن مخلصاً وتحسين الانحياز الى غير سلطانه والخضوع لغير اميره والقدح فيمن خالف مذهبه القبيح من الحكام الوطنيين فهذه يحرم على الامة الاشتراك فيها وتحرم قراءتها ومساعدة اصحابها ويعظم الاثم بعظم الرغبة فيها فكلما كانت رغبة وطني في قراءتها عظيمة كلما تزايد اثمه وساء مصيره فانه يكون عاقاً لسلطانه واميره مصادراً الحاكمه ساعياً في اضاعة وطنه مساعداً على توهين قوته واذلال اهل بلاده معينا لاعداء سلطانه واميره وبلاده واي وزر اعظم من هذا عند الله تعالى وقد وقف المشترك في مثل هذه الجريدة وقفة من حارب الله ورسوله واعلن بالمعصية وجاهر بعداوته للامة واصبح بغيضاً مرذولاً كل من راى تلك الورقة في يده قال هذا عدو السلطان والخديوي والحكومة والامة هذا الذي يعصي الله جهاراً ويرتكب الاثم نهاراً هذا الذي جهل حقوق الوطنية وفضل الجنسية هذا الذي طار مع الاكاذيب والترهات من غير بحث في العواقب هذا الذي باع مجده وشرفه بكلمة مدح او عبارة ثناء ممن يضحك عليه بما يكسب به ماله والا فاي وطني صادق يساعد عدو وطنه على افساد الوطنيين وتحسين القبيح في اعينهم واي حر يعلم ذلك ولا يضرب الحائط باوراق الاعداء التي ملئت شتماً لامرائنا وتزييفاً لاعمالنا وذماً لاسلافنا . نرى بين ايدينا جرائد شتى تكتب بغير لغة البلاد ولا نرى فيها الا بعض جرائد تسعى سعي المفسدين المضلين وكلها بين فرنساوية وايتاليانية ويونانية تنادي بسياسة معتدلة وتنبه الامة على ما فيه صلاحها وان شذ بعض محرريها بقول في جانب احد كان من الشخصيات

التي لا تمس العموميات اما التي وقفت منها لذم الامة وتضليلها فحق على كل مصري ان لا يقبل عليها ولا يتحمل بالاشتراك فيها من العار ما يلحقه بالسفلة الرعاع والاوباش الادنياء الذين لا يفرقون بين النافع والضار والا كان يداً ثانية لعدو المصريين يساعده على افساده وتغريره . ويمكنك ان تمر في الطرقات وتنظر الجرائد التي في ايدي الناس فمن وجدت في يده جريدة مصرية او افرنجية مخلصة في خدمتها فاعلم انه وطني مخلص ومن وجدت في يده جريدة لخائن اوغاش او مستاجر فاعلم انه عدو لك وان شاركك في مسمى الوطنية واللغة والجنس اذ يستحيل على وطني غيور على سلطانه واميره وحكومته ومصالح بلاده ان يشترك في جريدة تضاده وتكون على غير طريقه المسلوك للامة التي هو فرد منها ولا يشترط في الاخلاص ان تكون الجريدة مصرية بحتة بل كل جريدة اعتدلت في سيرها واخلصت في نصحها وخدمتها فتلك المحبوبة المالوفة مصرية كانت او سورية او افرنجية وكل جريدة خالفت هذه الطريقة فهي العدوة المبغوضة المزدراة التي وجودها اثقل من وجود الوباء مصرية كانت او غير مصرية

واعلم ان رجال الضبط ورجال الانكليز لم يكن لهم دخل الآن في شأن الجرائد فانك تعلم ان انكلترة ما ارادت من مصر الا وضع حكومة حرة نظامية والزام الامة بقراءة ما تكره بعيد عن هذا المقصد فلهذا قلت لك انهم يريدون ان يتألفوا الامة بما تحب ولا ينفروها بما تكرهه . وقد اخطأت الجرائد المتستأجرة هذا المرمى فجعلت شتم الامراء المصريين وتهجين اعمال المسلمين والاقباط كشكولاً تمده لرجال الانكليز لتنال به العيش ففرقت بين

الامتين المصرية والانكليزية بتقبيحها الحسن وتحسينها القبيح تعصباً للتطفل وتغرضاً للشماذة فخدمت المصريين اكثر من خدمتها الانكليز ولكن بغير قصد منها شأن الاحمق يريد ان ينفع صاحبه فيضره ولا نلبث ان نرى الانكليز تنبهوا لما جلبته عليهم من ضياع اتعابهم وعكس آمالهم فينفروا منها نفور المصري بل اشد . ولا يغرنك ما قدمته من ان بعض الحكام كان يساعد بعض الجرائد فان ذلك كان في فترة قبل العصر العباسي كانت فيه الحكومة شبيهة بالفوضى فكل مأمور مستقل باعماله مستبد على محكوميه . وليس ذلك لقصد او بامر من صاحب العطوفة مصطفى فهمي باشا فاننا ننزه وطنيته عن ذلك وانما تكاثرت عليه الآراء وتعددت الايدي العاملة وفترت همم اعضاء وزارته فاصبح وحيداً لا يقوى على دفع تلك السيول المندفعة على حد قول القائل

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

وقد ذهب امس بما فيه وجاء اليوم يطالبنا بسد الخلل ودرء المفاسد وكل انسان حر في ماله واعماله الخاصة به فلا الزام ولا ارغام وان مسموعكم مجرد ايهام من قوم لا يستطيعون ان يظهروا امام الحكومة بشيء من هذا ولا يستطيع احدهم ان ينسب عمله او يسند ظهره الى انكليزي معين فانه يكذبه في الحال فان انكلترة جربت الاجنبي في القول والفعل فلم تنجح فعادت الى الوطني تستعين به على الاصلاح المأمول لها فانه ادرى ببلاده واعرف باخلاق اخوانه واعلم بما يصلح شؤنهم ولو فوضت اليه الامر تفويض اطلاق لرأت من همم الوطنيين ما يبهرها ويكذب كل دعوى ادعاها بغيض

المصريين بانهم لا يصلحون لعمل ولا يحسنون التصرُّف في الامور فان الخلط والخبط الذي وقعت فيه البلاد مدة العشر سنين اكبر دليل على ان الاصلاح موقوف على تسليم الاعمال الى الوطنيين · ولا يقال ان الاعمال كانت في ايدي الوطنيين كل هذه المدة فانا نقول ان الوطنيين مقيدون بالنظامات والمنشورات التي تلزمهم الانكليز بالعمل بها فكل خلل نشأ في ادارتهم فانما نشأ من المنشورات والتراتيب الاجنبية والحال اكبر شاهد · نعم اننا لا ننكر ان لانكلترة محاسن اظهرتها في البلاد منها حرية الافكار والمجامع بحيث يتمكن كل ذي لهجة من ابداء ارائه والمحادثة مع اخوانه في بيته وفي القهوة والطريق من غير حجر وان كان مع هذا الاطلاق بعض تجسس بواسطة البوليس السري ولكن هذا لا يضر بحرية الافكار ما دامت في غير تهييج او تعصب ديني او حث على فتنة وكل امة لا بد وان يقف حاكمها على خفاياها بواسطة اناس يختارهم لذلك حفظا للأمن والنظام نعم ان معظم رجال البوليس السري عندنا اغبياء كذبة اذا رأى احدهم انه مشى يوماً ولم يعثر على خبر ينقله افترى على رجل فرية يثبت بها عملاً لنفسه فكثيراً ما علمنا انهم اخبروا باخبار مختلفة وذلك بسبب جهلهم وسوء اخلاقهم · لا يقال انهم وطنيون فكيف تذمهم فاننا نقول ان غالبهم رعاع فان وظيفة التجسس عند الشرقيين اقبح الوظائف ولا يرضى بها الا ارذل الناس واوقحهم فلذا يندر ان يكون فيهم مهذب خصوصاً اذا علم احدهم ان رئيسه يحب ان يقف على عثرة لفلان فانه يكتب عنه تقارير مفتراة ارضاء لرئيسه وتنفيذاً لآرائه · على ان رجال البوليس في اوروبا منتقون من الناس المؤدبين

المهذبين ولهم حسن تصرف في اعمالهم وتأدب في معاشرة الناس ومعاملتهم ويندر ان يفتري احدهم على احد شيئاً ولهذا كانت تقاريرهم مصدقة من غير طلب دليل عليها فمعاملة بوليسنا بهذه المنقبة مجاراة لاوروبا مع فساد اخلاق معظمهم تخليط في العمل وتشويش للافكار وعلى كل فان هذا لم يؤثر في حرية الافكار والجامع تأثيراً سيئاً . ومن محاسن الانكليز اطلاق حرية المطبوعات اطلاقاً كاد ان لا يدخلها تحت نظام فاننا نرى بعض الجرائد تتعرض لمسند الخلافة العظمى ورجالها الفخام وتلحق ذلك بالامراء المصريين والحكام الوطنيين ولا تؤاخذ بقول ولا تنذر على خروج عن حد وحبذا لو سدَّ رجال انكلترة آذانهم عن سعاية الشحاذين واكاذيبهم وتركت المصري مع غيره يتبادل المناظرة والدفاع تصريحاً لا تلويحاً لترى اي الفريقين احق بالزجر ومع ما فيه من بعض التضييق على المصري في بعض شؤن التحرير فان الحرية التي نالها تكفيه الآن مع ما يلاقيه في جانبها من سعاية المُكَدين ووشاية النازحين خلف ما يسكت عصافير بطونهم من لقمة يغمسونها في قذر الكذب ويلوكونها على اضراس النفاق ليسهل نزولها في معدة الشره والدناءة . نعم ان هناك حرية مدنية ينفر منها البهيم وهي حرية اغراض النساء فانها لا توافق عوائد اهل الشرق ولا اديانهم فقد اتفق المسلمون والنصارى واليهود والمجوس على الغيرة على النساء وصيانتهن واجمعوا على تحريم الزنا وقبحه فاطلاق الحرية في هذا الباب مذمومة لا تحمد الحكومة عليها واقبح من اطلاقها الكشف على البغايا بمعرفة اطباء الحكومة ليصلحن للزنا وما سمعنا بمثل هذا في الجاهلية الاولى فانه توسع محذور وانتهاك لحرمات تجب على الحكومة المحافظة عليها . وبالجملة

فان انكلترة أثرت تأثيرًا ما في بعض المواد المدنية وان عجز معظم رجالها عن اصلاح الاعمال المسلمة اليهم انما قلنا المعظم لان في رجالها رجالاً صرفوا اوقاتهم في ترتيب ما نيط بهم من الاعمال وسهروا في تنقيح قوانين اداراتهم واجتهدوا في كسب الشرف بحسن تصرفهم واستخدموا من الوطنيين من استعانوا به على اداء مصالحهم وارضوا به كل وطني كالمستر سكوت . ومنهم من ترك هذه الطريقة وابعد الوطنيين واستبدلهم باغراب فستحق المقت والنفور منه والحط عليه وليته مع استعانته بالاغراب اصلح ما وسد اليه من الاعمال كلا فانك لا تجد الخلل الا بين الغرباء كما لا تجد الاصلاح الا بين الوطنيين . ورجال الانكليز يعلمون ان الجرائد المخلصة وقفت موقف الناصح المرشد من عهد نشأتها فلو سمعوا نصحها واعرضوا عن الجرائد التي يعلمون من سيرها تنفير المصريين بتفريق الكلمة وتوزيع الاهواء لرأوا من الامة استحسانًا لعملهم وميلاً لافكارهم الاصلاحية وما دامت تقرب اليها الشحاذين (الشحاتين) وهم يستعملون اهانة المصريين بعباراتهم الخشنة وسياستهم السخيفة فانها لا تربح ولا رجلا واحدًا من المصريين حتى الذين يرون معاشهم مربوطًا بتنفيذ آرائهم فانهم انما يفعلون ذلك تقيةً بخلاف ما اذا استعانوا باهل البلاد على الاصلاح فانهم يجدون رجالاً نصحاء شرفاء اذكياء فضلاء امناء اقوياء على الاعمال والاقوال مع اخلاص وحسن نية . فان الاصلاح موقوف على توحيد الفكرين الوطني والانكليزي لينتج من ذلك نتائج تاتي بالمقصود . وما دامت تستعمل اهل الكدية الجهلة فانها لا ترى الا تفريقاً في الكلمة وتشتيتاً في الاهواء وايغاراً للصدور واين هذا من وعودها وطنطنة

جرائدها بانها ما تريد الا اصلاح مصر وان مصر للمصريين . وبالجملة فان اتكاء انكلترة على جرائد تنافر المصريين اتكاء على مخضاء (عود تحرك به النار) كلما حركت عضدها عليه اضرم مـا خمد من نار النفرة . والعجب للاجراء حيث يقولون في بعض العمال المصريين انهم مسالمون للانكليز وهم لا يدرون ما تحت هذه العبارة من التفريق ومعاكسة الانكليز فانهم يوهمون ان العمال قسمان قسم مسالم للانكليز وقسم مسالم للحكومة او الحضرة الخديوية بالضرورة اذ لا مقابل للاول لا هذا فيكون هناك تضاد بين سعي الحكومة الوطنية وبين سعي الانكليز والانكليز تنكر ذلك امام اوروبا وتقول انها انما تشير على الحكومة المصرية بما فيه الاصلاح فان صدقت كان الاجراء جارين على ما استؤجروا لاجله من الكذب والافتراء على انهم يعلمون ان المديرين وبقية العمال الملوحين بهم مصريون ربتهم الحكومة المصرية على نفقتها وهذبتهم برجالها ورفتهم باحسانها وحلتهم بالرتب والنياشين بتفضلها وهم الى الآن ياخذون اجورهم من مالها ولم يروا في مسند الخديوية غير العائلة التي نشأوا في نعمتها وعظموا تحت ظلها واستلموا ادارة الاحكام باسم المولى العباس الافخم صاحب الحق الشرعي والبيعة المأخوذة عليهم وعلى كل مصري فنسبتهم الى الانكليز بعد ذلك هو عين رميهم بانهم خانوا مواليهم وكفروا نعم ساداتهم وجهلوا حقوق وطنهم وغفلوا عن خصائصهم واهدروا واجبات انسانيتهم وانهم قوم لا يميزون بين الوطنية والاجنبية حتى اصبحوا يخدمون الغير بتقديم بلادهم طعمة لمن لم يتعب في تربيتهم ولا صرف لهم درهما من جيبه ولا يعرفهم بعد قضاء الوطر منهم الا بصفة الخدم ويسميهم الخائنين

كما عرف من خدمه ايام دخوله مصر من الخائنين ونحن نبرئ اخواننا الوطنيين من هذه المعرة الشنعاء وننزه جانبهم العالي عن الجهل الذي وسمهم به الاجراء وعن السعي مع الغير ضد الحكومة الوطنية التي هم هيئتها و يد حركتها ونكذب هؤلاء الادعياء بسير الاحكام على نظام واحد بين من سمي من الحكام مسلمين و بين غيرهم فاللوائح والمنشورات لا يخص بها مدير دون اخر ولا مامور دون غيره ولا ضابط او محافظ دون سواه بل تصدر من النظارات لكل مرؤس ولا يتوقف عامل في تنفيذها والقيام بما تدعو اليه فسير الاعمال على وتيرة واحدة اكبر دليل على كذب الاجراء واعظم برهان على انه لا يوجد خائن ولا بائع لشرفه ولا خارج على اميره ولا مقصر في عمله ولا منتظر لقمة يطعمها من الاجنبي وهو غارق في نعم سيده ومولاه الخديوي الافخم · وان كان الاجراء يعرفون ان هناك اعضاد الاجنبي اعداء للحكومة فليسموهم لنا رجلاً رجلاً لعلنا نتبصر على زعمهم ولو كانوا يفقهون لعلموا ان نفس الانكليز الموجودين بالادارات المصرية انما هم خدم للحكومة تستعملهم في ضروريانها باجور تنفق عليهم من ماليتها ولكنهم قوم وُجدوا لاثارة الفتن وقلب الحقائق يشهد بذلك ترجمتهم كل مقالة يكتبها الحمقى مثلهم ذماً في امرائنا وهجوا في عمالنا كذباً وزوراً فلا ينشرون عن الانكليز الا الشتائم والقبائح التي ابعدت المصريين عموماً عن محبتهم لما يرونه من التهكم بملوكهم وامرائهم والحط عليهم بما ليس فيهم فالأجراء والمغفلون من كتبة جرائد انكلترة سواء في الذنب امام رجال الانكليز والطامة الكبرى ان الانكليز لا يعرفون العربية وانما يترجم لهم اعداء المصريين ما يقال وما ينشر في جرائدنا فان رأونا نقول يلزمنا الهدو والسكون

ومعاشرة نزلاء بلادنا بالحسنى قالوا لهم انهم يقولون ما هذا السكون والهدو
قوموا فخلصوا بلادكم من الانكليز وان رأونا نمدح انكلترة على فعل نافع قالوا
لهم انهم يذمونكم و يشتمونكم واذا راوا واحدا مثلي سافر الى بلد لزيارة ولي او
صديق او اهل او لغرض معاشي قالوا انه توجه ليستهيج الافكار ضد الانكليز
وليخطب في الناس باثارة فتنة فهذا هو قلب الحقائق الذي تربص له الاعداء ٠
وارى الناس يتسأ لون عن الانكليز متى يرحلون عن بلادنا وكان الاولى ان
يسألوا عن هؤلاء متى تطهر البلاد منهم وتبقى المحبة متبادلة بين المصريين
والسوريين والاجانب على ما كانت عليه قبل ان تصاب بلادنا بعصيبة الاجراء
ولله در المصريين حيث وقفوا على سوء مقصدهم فنبذوا تلك الجرائد وراء
ظهورهم وعلموا ان المشترك فيها يأثم اثما كبيرًا وان استحل قراءتها بعد علمه بانها
تشتم سلطانه وامراءه وتسعى به في طريق الفتنة والالتجاء الى الغير مرق من الدين
وفارق الجماعة وكفر باستحلاله امرا محرما اوإخلى الضعفاء الملزمون بها وشأنهم ما
مسها واحد منهم بيده ولا نظرها بعينه لخروجها على سلطانه وامرائه وانتهاكها
حرمة حكامه ورميهم بالجهل وعدم التبصر وهي في كل ذلك ظالمة باغية كافرة
لئم من تنفق على ذمهم من اموالهم ٠ فنحن ننبه رجال الانكليز على الفساد الذي
احدثه الاجراء ليتداركوه قبل ان تزهق النفوس وتنحرف عنهم كل الانحراف
اذ يظن الناس ان انكلترة تستعمل هؤلاء قصدا لاهانتهم وايقاع العداوة
بينهم وتفريق كلمة الحاكم والمحكوم فيكون ذلك اكبر عيب للانكليز امام
اوروبا التي تعهدت لها ان تدخل الاصلاح في مصر ولم يرَ المصريون منها غير
رجال استعماتهم فلم يحسنوا السير حتى ولا في طرق البهتان الذي هم فيه والاستاذ مع

كونه متمحضاً في الوطنية عريقاً في المصرية لا يخدم غير سلطانه ولا يعرف غير اميره ولا يرجع عن نصح اخوانه فانه مستعد لذكر اعمال الانكليز اذا رآهم يعملون اعمالاً نافعة للبلاد منصرفين عن اهل الكذبة والفساد ولا يتأخر عن مدح المخلص منهم كما يمدح الوطني الصادق وكذلك بقية الجرائد المخلصة . ولا يقول ذلك استرضاء لخاطر او استجداء للقمة او اتقاء لشر فانه غني برضا مولاه الخديوي المفخم وميسور عيشه عن جانب لا يصل اليه الا بالخيانة والنفاق ان جره الطمع الذي جر غيره على وجهه حتى شخبت منه دماء الوقاحة ولحقه اصفرار الذل والهوان . ومن نال اخدم من خدم وطني وعرف حق سيدي واستمان باخواني الوطنيين لا يكون معرّضاً بما ذل به الغير وكيف يرضى لنفسه منزلة ارتقى اليها الضعفاء بجذب الغير حتى اذا وصلوا غاية سقطوا على ام اصيتهم فاصبحوا يعضون الانامل من الغيظ وقد خابت ظنونهم وانعكست آمالهم وبارت تجارتهم فانهم لا يتوا المصريين فلانوا واستعانوا بهم على سد خلة الفاقة فاعانوهم ثم عادوا فكفروا بالنعمة ونقضوا الذمة وانكروا المعروف واخذوا يشتمونهم بعد المدائح الطنانة ويغشونهم بعد ظهورهم في مظهر النصحاء فغدوا ولهم في القلوب منازل وراحوا وهم كالقذى في العين وكالمغص في المعدة فقد هدموا سور الألفة بمعول التفريق . ولله الحضرة الخديوية الفخيمة ايدها الله في عنايتها برجال حكومتها ورعيتها وتمييز الامين من الخائن ومعرفتها الغاش من المخلص فانها وقفت على غاية كل محرر وسعيه وعرفت اميال الامة وتجاهها لاية جهة وقد عرفت الامة هذا من سيدها المعظم فانبعثت فيها روح الغيرة الوطنية ففرقت بين مشارب ارباب الاقلام وميزت الاجير

من الخديم الوطني واصبح كل فريق يتلو على مثيله « لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر » فها انا بينت لك احوال الجرائد واخبرتك ان الحكومة المصرية ورجال الانكليز لا يعرّضون الآن لشيء مما يختص بها وكيف يكون ذلك في عهد وزير خطير غاية سعيه اصلاح حال الامة ووقوف كلٍّ عند حدّه وتصرف كل انسان في شؤنه الخاصة بحرية لا يدخلها حجر ولا يشوبها تضييق . فانت بالخيار في الاشتراك فأية جريدة مخلصة اردت الاشتراك فيها فاشترك متمعاً باختيارك واياك وجرائد اعداء الوطن الخائنين

فمن ينصر الخوان فهو شريكه ومن يألف الكذاب ساءت مقاصده
ومن يصحب النصاح يعليه نصحهم ويمسي وفوق النيرين مراصده

الازهر الشريف بمصر وجامع الزيتونة بتونس

هذان المسجدان هما روضتا العلم اليانعتا الثمر الطيبتا الاثر اما الازهر فلا ينكر احد ما له من الاهمية في العالم الاسلامي اجمع ومن تخرج فيه من الجهابذة والاساتذة والمؤلفين الذين هدوا العالم الانساني الى طرق المدنية والفضل بتاليفهم المفيدة ومبتكراتهم البديعة وهو يزداد كل يوم حسناً ويزهو جمالاً بافاضله القائمين بحفظ الشريعة ونشرها بواسطة تعاليمهم فقد ملئ بالائمة الاعلام الحائزين رتب المزايا والفضائل وكلهم قائم بتدريس ما نيط به من فنون التفسير والحديث والاصول والفقه والتوحيد والمنطق والبيان والبديع وادب البحث والوضع والتجويد والقرآت والمصطلح والحساب

والتاريخ والانشاء والعروض والقوافي وغيرها من العلوم النقلية والعقلية التي لا بد للعالم الشرعي منها والهمة مبذولة في تحسين طرق التدريس وترتيب حال الطلبة من افضل الفضلاء شيخ الاسلام العلامة صاحب السماحة والفضيلة الشيخ محمد الانبابي الذي وجه كل عنايته في تنظيم هذا المسجد المبارك وقد علمنا ان ديوان الاوقاف المشمول بنظارة الحضرة الخديوية الفخيمة ساع في ترتيبه مساعدة لحضرة شيخ الاسلام على هذه الخدمة الجليلة فاملنا من هذا الديوان معرفة استقلال هذا الجامع واحترام شيخه وعدم ادخاله في الملحقات التي تصيره فرعاً وهو اصل لا يصح ان يلحق بغيره استتباعاً فان تقلبات الاحوال حذرتنا من التهاون في مثل هذا الاستتباع لاختلاف العمال الموردين على ادارة الاوقاف ولا ينجي الازهر الشريف من تلاعب الافكار به الا استقلاله تحت ادارة شيخ شيوخه واولى ان يكون التفات الاوقاف نحو صرف المستحق له فانه يوجد نحو الثلاثين من العلماء الذين تم امتحانهم لا راتب لهم والبعض من السابقين راتبه لا يقوم بمعاشه مع انقطاعه للتدريس فحبذا لو كان توجيه عناية الاوقاف لهذه الوجهة وسنعود لهذا الموضوع بعبارة اوسع واعم . اما جامع الزيتونة فحكمه حكم الازهر ولكننا علمنا من جرائد تونس انه حجر على طلبته اعطاء الشهادة الا لمن يمتحن في الرياضيات والطبيعيات وهذه علوم لا تقرأ فيه ولا يعول عليها علماء الشريعة فكيف يكلف الانسان باداء ما لم يره ولا يقول به وأملنا في الدولة الفرنساوية ان تسعى في راحة اخواننا التونسيين وتتركهم وما اعتادوا عليه في مسجدهم الشرعي الذي لا يتعرض للسياسيات فان الزامهم بتدريس هذه العلوم

مع عدم اعتقادهم لها بل مع علمهم ضررها ظاهرا بالعقيدة لزم بترك الدين شيئاً فشيئاً وحكمة فرنسا في سيرها تأبى ان توغر صدور المسلمين بضغطها على افكار علمائهم فان المسلمين كالجسد الواحد اذا اصيب بعضه تألم كله فنرفع لحضرة الوزير التونسي هذا الرجاء على لسان جريدتنا وانما هو على لسان المسلمين موقنين انه يصدر امره بترك العلماء وشأنهم يدبرون شؤونهم بانفسهم ويجرون في تدريسهم وامتحانهم على عاداتهم ولا يعز ذلك على عناية فخامة الباي المعظم . وهذا الذي نتخذه نذيراً لالحاق الازهر بالاوقاف الحاق ادارة وترتيب فان ثقتنا بالقائمين بالاعمال الآن لا تمنع من تخوفنا من المستقبل اذا استمر الاحتلال لاجل طويل معاذ الله تعالى

حظينا بمقابلة الوجيه المحترم عزتلو محمود بك المعظم صهر صاحب السماحة والفضيلة السيد الماجد ابي الهدي افندي الصيادي الحسيني قادماً من الاستانة العلية ومعه عائلته وصاحبة العصمة حرم السيد ابي الهدى افندي ووالدتها الكريمة قاصدين الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج وقد نزلوا مكرمين مبجلين بسراي سماحة الفضل السيد توفيق افندي البكري بالخرنفش وعين حفظه الله من يلزم من الاغوات لاستقبالهم وكان ألمّ بالمصونة والدة الحرم انحراف في الصحة فبادر باحضار طبيبه الخاص لمعالجتها فنقهت ورزقت تمام الشفاء وقد رأينا من هذا الصهر ادباً وكمالاً وتهذيباً وسيقوم الجميع لبيت الله الحرام بعد ادائهم زيارة آل البيت النبوي هنا صحبتهم السلامة ورافقتهم العناية الالهية وجعله الله حجاً مبروراً موشحاً بالقبول

﴿ عبد الله نديم ﴾